المجلد 29، العدد 57، رجب 1446هـ / يناير 2025م

# التجديد

مجلة فكرية محكمة

## بحوث ودراسات


- بيع الوفاء وتطبيقاته المعاصرة في المصرفية الإسلامية: دراسة تحليلية — محمد ضمير خالقيار، محمد صبري زكريا
- دور الإسلام في إصلاح المسيحية: دراسة للأثر الإسلامي في الحركة البروتستانتية — بهاء الدين مكاوي محمد قيلي
- الإمام أبو سعيد الكدمي ودوره في نشأة المدرسة النزوانية وتطورها — أحمد بن يحيى الكندي، سعيد بن راشد الصوافي، المبروك الشيباني المنصوري، ماجد بن محمد الكندي، علي بن سعيد الرمامي
- تقييم ملاحظات هرلد موتسكي على ادِّعاءات نورمان كولدر على موطأ مالك: دراسة مقارنة — إسماعيل جنار، علاء الدين محمد أحمد عدوي
- توظيف نموذج فراير (Frayer Model) في التدريس لتنمية المفاهيم النحوية لطلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مقرر التدريبات — عادل بن منسي الفقير
- التعليم الإسلامي في كينيَا بين التَّجْدِيد والتَّحديات الجِذْرية — محمد الشيخ عليو محمد
- الشعر الحر بين العرب والملايويين: دراسة مقارنة — عدلي بن يعقوب، نور الهداية بنت روسلي
- أبو غانم بشر بن غانم الخراساني (ت: 205هـ) ومنهجة في "المدونة": دراسة تحليلية — سيف بن سالم الهادي
- مؤسسة القرض الحسن كاستراتيجية للحد من الفقر في أفغانستان: نموذج مقترح في ضوء تجربة ماليزيا — جمال الدين حميدي، محمد أبو الليث الخير آبادي
- تحقيق المناط في مستجدات النوازل الطبية: دراسة فقهية مقاصدية — خالد بن عبد الله بن علي المزيني
- Al-Azhar's Approach to *Tajdīd:* A Case Study of *Fiqh* Textbooks — Attia Omara, Abdelaziz Berghout
- A Historical Exploration of Islamic Discourse in Sri Lanka: A Descriptive Analysis of Contemporary *Da'wah* Organizations — Ashker Aroos, Mohamed Ashath, Mohammed Insaf Mohammed Ghous


ISSN 1823-1926

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

**مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا**

**المجلد التاسع والعشرون** **رجب 1446هـ / يناير 2025م** **العدد السابع والخمسون**

**رئيسة التَّحرير**

أ. د. رحمة أحمد الحاج عثمان

**مدير التَّحرير**

د. منتهى أرتاليم زعيم

**المحرر المشارك**

د. نور سفيرة بنت أحمد سفيان

د. محمد أنور بن أحمد

**المحرر اللغوي**

د. عبد الرَّحمن بن عبد الكريم العثمان

**هيئة التَّحرير**

أ. د. أحمد إبراهيم أبو شوك

أ. داتين د. روسني حسن

أ. د. محمد أكرم لال دين

أ. د. يمنى طريف خولي

أ. د. عاصم شحادة علي

أ. د. فؤاد عبد المطلب

أ. د. محمد أوزشنل

أ. د. علي صالح الشايع

أ. د. أكمل خضيري عبد الرحمن

أ. د. أحمد راغب أحمد محمود

أ. م. د. عبد الرحمن حللي

د. عبد الرحمن الحاج

د. مروة فكري

د. همام الطباع

## الهيئة الاستشارية

محمد داود بكر ـــــ ماليزيا
فتحي ملكاوي ـــــ الأردن
عبد المجيد النجار ـــــ تونس
محمد بن نصر ـــــ فرنسا
محمود السيد ـــــ سوريا
محمد الطاهر الميساوي ـــ تونس
مجدي حاج إبراهيم – ماليزيا

عبد الرحمن بودرع ـــــ المغرب
حسن أحمد إبراهيم ـــ السودان
علي القرة داغي ـــــ العراق
عبد الخالق قاضي ـــ أستراليا
داود الحدابي ـــــ اليمن
نصر محمد عارف ـــــ مصر
وليد فكري فارس – مصر

## Advisory Board

Mohd Daud Bakar, Malaysia
Fathi Malkawi, Jordan
Abdelmajid Najjar, Tunisia
Mohamed Ben Nasr, **France**
Mahmoud al-Sayyed, Syria
Mohamed El-Tahir El-Mesawi, Tunis
Majdi Haji Ibrahim, Malaysia

Abderrahmane Boudra, Morocco
Hassan Ahmed Ibrahim, Sudan
Ali al-Qaradaghi, Iraq
Abdul-Khaliq Kazi, Australia
Dawood al-Hidabi, Yemen
Nasr Mohammad Arif, Egypt
Waleed Fekry Faris, Egypt


© 2025 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

**الترقيم الدولي ISSN 1823-1922 & eISSN: 2600-9609**

**مراسلات المجلة Correspondence**

Managing Editor, *At-Tajdid*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6421-5074/5541
E-mail: tajdidiium@iium.edu.my
Website: https://journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/Tajdid

Published by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6421-5014, Fax: (+603) 6421-6298
Website: http://iiumpress.iium.edu.my/bookshop

**الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها**

# التجديد

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد التاسع والعشرون رجب 1446هـ / يناير 2025م العدد السابع والخمسون


## المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| **كلمة التَّحرير** | رئيس التحرير | 8-5 |
| **بحوث ودراسات** | | |
| ▪ بيع الوفاء وتطبيقاته المعاصرة في المصرفية الإسلامية: دراسة تحليلية | محمد ضمير خالقيار<br>محمد صبري بن زكريا | 42-9 |
| ▪ دور الإسلام في إصلاح المسيحية: دراسة للأثر الإسلامي في الحركة البروتستانتية | بهاءالدين مكاوي محمد قيلي | 85-43 |
| ▪ الإمام أبو سعيد الكدمي ودوره في نشأة المدرسة النزوانية وتطورها | أحمد بن يحيى الكندي سعيد بن راشد الصوافي المبروك الشيباني المنصوري ماجد بن محمد الكندي علي بن سعيد الريامي | 120-87 |
| ▪ تقييم ملاحظات هرلد موتسكي على ادِّعاءات نورمان كولدر على موطأ مالك: دراسة مقارنة | إسماعيل جنار<br>علاء الدين محمد أحمد عدوي | 158-121 |
| ▪ توظيف نموذج فراير (Frayer Model) في التدريس لتنمية المفاهيم النحوية لطلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مقرر التدريبات | عادل بن منسي الفقير | 187-159 |
| ▪ التعليم الإسلامي في كينيَا بين التَّجْدِيْد والتَّحديات الجِذْرية | محمد الشيخ عليو محمد | 217-189 |
| ▪ الشعر الحر بين العرب والملايويين: دراسة مقارنة | عدلي بن يعقوب<br>نور الهداية بنت روسلي | 248-219 |
| ▪ أبو غانم بشر بن غانم الخراساني (ت: 205هـ) ومنهجة في "المدونة": دراسة تحليلية | سيف بن سالم الهادي | 276-249 |
| ▪ مؤسسة القرض الحسن كاستراتيجية للحد من الفقر في أفغانستان: نموذج مقترح في ضوء تجربة ماليزيا | جمال الدين حميدي<br>محمد أبو الليث الخيرآبادي | 315-277 |
| ▪ تحقيق المناط في مستجدات النوازل الطبية، دراسة فقهية مقاصدية | خالد بن عبد الله بن علي المزيني | 349-317 |
| ▪ Al-Azhar's Approach to *Tajdīd*: A Case Study of *Fiqh Textbooks* | Attia Omara<br>Abdelaziz Berghout | 377-351 |
| ▪ Considering the *Maqasid al-Shariah* Historical Exploration of Islamic Discourse in Sri Lanka: A Descriptive Analysis of Contemporary *Da'wah* Organizations | Ashker Aroos, Mohamed Ashath, Mohammed Insaf Mohammed Ghous | 401-379 |


**ترتيب البحوث في المحتويات حسب وصولها واستكمالها**

Arranging the research papers in the contents according to their arrival and completion

بحوث ودراسات

التجديد

المجلد 29، العدد 57
رجب 1446هـ / يناير 2025م، ص 249-276
حقوق الطبع محفوظة لـ IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
ISSN: 1823-1926 (Print)
eISSN: 2600-9609 (Online)

# أبو غانم بشر بن غانم الخراساني (ت: 205هـ) ومنهجة في "المدونة": دراسة تحليلية

# Abū Ghānim Bishr ibn Ghānim al-Khurāsānī (d. 205 AH) and His Methodology in "*al-Mudawwanah*": An Analytical Study

**سيف بن سالم الهادي** *

[قُدّم للنشر 2024/10/16 – أُرسل للتحكيم 2024/10/25م – قُدّم بعد التعديل 2025/1/2 - قُبل للنشر 2025/1/7]

## ملخص البحث

قدم البحث شخصية علمية من خراسان، اشتغلت على الخلاف العالي، وآمنت بالتعددية الفكرية، وانتقلت كما انتقل غيرها من علماء خرسان إلى حواضر العالم الإسلامي، في العراق والجزيرة العربية؛ من أجل الإسهام في الإنتاج العلمي. كان أبو غانم الخراساني حريصًا على تدوين فقه المدرسة الإباضية، والمقارنة بين آراء تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة على مستوى الخلاف داخل المدرسة وخارجها، فقدم كتابًا رائعًا أسماه: "المدونة"، وهو أول سِفْرٌ إباضيٌّ في الخلاف العالي، سُمِّي لاحقا بالمدونة الصغرى، التي هي في مقابل المدونة الكبرى، التي تعرضت للإضافة من قبل علماء الإباضية اللاحقين. يُعَدُّ البحث عن مثل هذه الشخصيات المغمورة لدى المدارس الأخرى مهم جدًّا، إذ يمنح الباحثين فرصة للاطلاع على النتاج العلمي المبكر في المدارس الإسلامية، كما يعالج الكثير من الأحكام المبنية على الاستقراءات الناقصة

* أستاذ مساعد بقسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان. البريد الإلكتروني: s.alhadi@squ.edu.om

عند الحديث عن المدراس المخالفة، ولقلة الكتابة عن أبي غانم؛ كان هذا البحث إسهامًا ضروريًّا في المجلات المحكمة؛ نظرًا لقربها المباشر من الباحثين. تضمَّن البحثُ الحديثَ عن شخصية أبي غانم، وقدراته العلمية، وتميزه الأخلاقي، وفيه أيضًا حديثٌ عن المذهب الإباضي؛ نشأته، ومعالمه الفقهية، والسياسية، وعلاقته بمذاهب أهل السنة، وفيه أثبت الباحث تميُّز المذهب بالاجتهاد المطلق، وبراءته من الانتساب للخوارج؛ فقهًا وسياسةً.

**الكلمات المفتاحية:** أبوغانم، أبو عبيد، الإباضية، المدونة، الفقه المقارن.

## Abstract

The research presents a scholarly figure from Khorasan who actively engaged in advanced theological debates, embraced intellectual pluralism, and, like many other scholars from Khorasan, migrated to the cultural hubs of the Islamic world, including Iraq and the Arabian Peninsula, to contribute to scientific production. Abu Ghānīm al-Khurasānī was particularly dedicated to documenting the jurisprudence of the Ibadī school and comparing the views of the disciples of Abu Ubaidah Muslim ibn Abi Karīma on internal and external disputes within the school. He authored a significant work titled *Al-Mudawwanah*, the first comprehensive Ibadī text on advanced theological debates. This book was later referred to as *Al-Mudawwanah al-Sughra* (the Minor Compilation) to distinguish it from *Al-Mudawwanah al-Kubra* (the Major Compilation), a more extensive version developed by subsequent Ibadī scholars. Exploring such obscure figures within the Ibadī school—who are less known to other Islamic schools—is highly significant. It offers scholars a chance to investigate the early intellectual contributions of Islamic schools and addresses many judgments made on incomplete studies when comparing different schools of thought. Given the limited writings available on Abu Ghānīm, this research represents an essential contribution to peer-reviewed journals, as it is directly relevant to contemporary scholarship. The study delves into Abu Ghānīm's personality, his intellectual capabilities, and his ethical excellence. It also explores the Ibadī school's origins, its jurisprudential and political characteristics, and its relationship with Sunni schools. Furthermore, the researcher highlights the school's commitment to independent reasoning (*ijtihād*) and its separation from the Khārijites in both jurisprudence and politics.

**Keywords:** Abu Ghānīm al-Khurasānī, Abu Ubaidah, the Ibadī school's, *Al-Mudawwanah*, comparative fiqh.

## مقدمة

قدمت خراسان وبلاد ما وراء النهر عددًا كبيرًا من العلماء في مختلف المجالات العلمية، الإنسانية والطبيعية، وقد تصدَّر هؤلاء مجموعة من الأئمة، أمثال: البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وابن سينا، والفارابي، والبيروني، والخوارزمي، وغيرهم، كما قدم هؤلاء معارف جزيلة للحضارة الإسلامية في مختلف المجالات؛ الشرعية والعلوم الطبيعية، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأنهم وضعوا الأسس العلمية الأولى للحضارة الغربية اليوم.

واللافت، أن هذه التشكيلة من العلماء تنتمي إلى مذاهب متعددة، واتجاهات عقائدية متنوعة، ومع ذلك صنعوا من لُحمتهم وتسامحهم لوحة حضارية مشرقة، تجاوزت هذه الدوائر الضيقة، وفتحت أبواب التعايش من أجل الدين والوطن. كان للإباضية في بلاد خرسان حضور مماثل، تمثل في العناية بالعلوم الشرعية، والعمل السياسي. وتواصل رجالها مع هذه التعددية المذهبية حتى أصبحوا جزءا من حراكها الثقافي، ومن بين هؤلاء العلماء أبو غانم بشر بن غانم الخرساني (ت 205هـ)، فهو أول مَن فكَّر في تدوين الفقه المقارن داخل المدرسة الإباضية، حيث قارن بين أقوال تلاميذ أبي عبيدة، وشرح منطلقات النظر في مسائل الخلاف، كما بحث في أوجه التقارب مع آراء أبي عبيدة نفسه، وهي فكرة لا تقل شأنًا عن الإبداع العلمي الذي قدمه علماء خرسان وما وراء النهر. وفي هذا البحث، سنُعرِّف بهذه العقلية الفذَّة، ومدرستها الفقهية، وأوجه الإبداع في درسها العلمي.

### مشكلة البحث

يمثل القرن الأول والثاني أهم قرون تدوين الفقه الإسلامي؛ لسببين:

1. الاعتماد المباشر على قواعد الأئمة، وطرق الاستدلال المستقلة، قبل تبادل الأخذ بين المدارس الإسلامية وبينها وبين المعرفة المترجمة من علم المنطق.

2. يشرح الأسس الموضوعية التي كان الفقهاء يتعاملون بها مع المستجدات، ويعالجون بها الحوادث؛ ما يمنحها أهمية عميقة في موضوع فقه الواقع.

لأجل هذا، كان البحث في هذه البدايات مهمًّا جدًّا، وكان أبو غانم الخراساني أحد أقطاب هذا العطاء، كما أن البحث في هذه الشخصية لم يحظ باهتمام كبير لدى الباحثين، على مستوى الإفراد بالكتابة والتأليف، سوى ما يذكر أثناء دراسة المدونة، وتأثيرها الفقهي في المدرسة الإباضية، كما فعل الدكتور مصطفى باجو في تحقيقه على المدونة الكبرى، وإبراهيم العساكر في تحقيقه على المدونة الصغرى.

**أسئلة البحث**

1. من هو أبو غانم الخرساني؟ وما هي مدرسته الإباضية؟
2. كيف مثلت مدونته البدايات المبكرة للخلاف العالي داخل المدرسة الإباضية؟ وكيف شرحت الأسس الموضوعية الأولى لفقه الواقع؟
3. ما الطريقة التي اتبعها أبو غانم في التوفيق بين المختلفين داخل المدرسة؟

**الأهداف**

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالآتي:

- المدرسة الإباضية، وأسباب ظهورها في خرسان.
- أبو غانم وحضوره العلمي، وأسبقيته في التأليف.
- فكرته في التقريب العلمي والمنهجي بين علماء أبي عبيدة المختلفين؛ حيث تشير المصادر إلى القطيعة العلمية والسياسية بينهم في القرن الثاني الهجري.
- رحلاته وتأثيراته العلمية.

**أهمية البحث**

تأتي أهمية هذا البحث في إبراز الإسهام العلمي لعلماء الإباضية في خراسان، وبلاد ما وراء النهر؛ فقد حضرت بتاريخ: 23–2024/8/26م مؤتمرا في أوزباكستان بعنوان:

"تراث الأجداد العظماء أساس النهضة الثالثة"، استعرضت فيه البلدُ تراثَ علمائها من مختلف المذاهب، وقُدمت فيه أوراق علمية جزيلة، صورت إسهاماتهم العلمية، وإنتاجهم المعرفي. وغاب عن هؤلاء علماء المدرسة الإباضية، ربما لتطاول الزمن، واختفاء حضورها العملي هناك في وقت مبكر، أو إهمال المدرسة الإباضية نفسها التعريف بهم، وتقديم تراثهم لهذه الدول التي ينتمون إليها، وفي كل الأحوال يأتي هذا البحث خطوة في هذا الاتجاه.

**الدراسات السابقة**

لم يتم تقديم دراسة مستقلة عن أبي غانم بشر بن غانم الخراساني (ت: 205هـ) سوى ما ورد من التعريف به في مقدمة تحقيق كتابه المدونة، والتي طبعت باسم: " المدونة الصغرى"، حققها الأستاذ إبراهيم العساكر من الجزائر، عام 2006م والصادرة عن مكتبة الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عمان، وأيضًا مقدمة الدراسة في "المدونة الكبرى" للدكتور مصطفى باجو التي صدرت في عام 2007م عن وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، وقد اكتفى الباحثان بالتعريف بالمؤلف ومنهجه. والمعلومات المتوفرة عن أبي غانم قليلة، وإنما يتعرف الباحثون عليه من خلال المدونة نفسها، وقد قدم الباحث دراسة سابقة بعنوان: "مدونة أبي غانم: معالم وأعلام"، وهي رسالة ماجستير قدمتُها في جامعة سيدي محمد بن عبدالله بالمملكة المغربية بفاس، ناقشت الرسالة المنهج الفقهي، وطرق الاستدلال عند علماء المدونة السبعة، وتفاعلهم مع المدراس الأخرى، كالمالكية.

ويعد هذا البحث مستقلًّا في أبي غانم، يبحث في سيرته وصفاته العلمية، وقدرته على تحقيق الهدف الذي حدده من تأليف المدونة، والملكة الفقهية التي يتمتع بها، كما أنه يعد إضافة جيدة في مجال التعريف بعلماء خراسان من المدرسة الإباضية.

## تمهيد

يعد المذهب الإباضي من أقدم المذاهب الإسلامية، تعود بداية ظهوره إلى التابعي الشهير جابر بن زيد المتوفى عام 93هـ، وهو شخصية عمانية، رحل إلى البصرة مع والده وهو صغير، ونشأ في أجوائها العلمية، وحلقاتها المعرفية، وعايش فترات الصراع السياسي على السلطة أيام الدولة الأموية. تتلمذ الإمام جابر على جل الصحابة، وأخذ عن ابن عباس وعائشة –رضي الله عنها–، يقول عن نفسه : "أدركتُ سبعين بدريًّا، فَحَوَيْتُ ما عندهم إلا البحر" يعني ابن عباس[1].

يعتمد المذهب الإباضي مصادر التشريع النقلية والعقلية كالقرآن والسنة والإجماع، ثم القياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وغيرها، إذ يعد هذا النهج الفقهي أقرب المذاهب إلى أهل السنة –كما نص على ذلك المبرد، وابن حزم، وابن خلدون، وغيرهم من العلماء–[2]، لكنهم في المسلك العقائدي يتفقون مع المعتزلة في بعض القضايا الخلافية، ومع الأشاعرة في بعضها أيضا، ومع الماتريدية في مسائل أخرى، فهو مستقل في رؤيته للقضايا والاستدلال عليها، يمكن تصنيفه عقائديًّا بأنه مدرسة رابعة[3].

أُلصقت بالمذهب تهمة الانتماء إلى الخوارج، لكنها تهمة سياسية؛ ظلَّ الإباضية إلى

---

[1] – أ. محمد بن موسى بابا، د. إبراهيم بحاز، د. مصطفى باجو ، أ. مصطفى بن محمد شريفي، **معجم الأعلام الإباضية القسم المغربي**، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية 1421هـ1999 م، رقم 230 المجلد الثاني ص108 .

[2] – جاء في الكامل: " قول ابن إباض أقرب الأقاويل إلى السنة،" وابن حزم:" وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضي الفزازي الكوفي"، وابن خلدون:" وقول هؤلاء أقرب إلى السنة ". ينظر: الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ / 1997م، 2 / 214، وابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي القرطبي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1431هـ (2 / 89)، وابن خلدون عبد الرحمن، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ /1981م (3 / 145).

[3] – لمزيد من البحث في هذه النتيجة يمكن البحث التحليلي في مشروع **"مائة كتاب إباضي"** من اختيار وتقديم الدكتور كمال إمام، أستاذ الشريعة بكلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، صدر في طبعته الأولى عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، 1434هـ/2013م

اليوم يواجهونها بالأدلة التي تدحضها، بيد أنها دَرَجَت وَسْمًا ثابتًا عند كثير من الكتاب المعاصرين[1]، والحق أن المذهب الاباضي لا ينتمي إلى الخوارج في الأفكار السياسية، ولا في الأفكار العقائدية المتعلقة بقضايا الإيمان؛ بل إن الإباضية ساهموا علميًّا وعسكريًّا في إزاحة الخوارج عن دائرة النفوذ السياسي في البصرة وعمان والقيروان[2]، كما أنهم كانوا شديدي التحذير من اتباعهم، أو الإيمان بأفكارهم، يقول الإمام الربيع بن حبيب – الشخصية الثالثة في المذهب الإباضي–: "دعوهم حتى يتجاوزا القول إلى الفعل، فإن بقوا على قولهم؛ فخطؤهم محمول عليهم، وإن تجاوزوه إلى الفعل؛ حكمنا فيهم بحكم الله"[3].

## المبحث الأول: أبو غانم بشر بن غانم الخرساني*

### المطلب الأول: حياته وآثاره

لم تتوفر لنا المعلومات الكافية عن نشأة أبي غانم في مدينة خرسان، وهو شأن الكثير من العلماء، كما أن نسبه الذي أجمعت عليه المصادر الإباضية يقف عند أبيه، فهو الشّيخ

---

[1] – ينظر : السابعي، ناصر بن سليمان، **الخوارج والحقيقة الغائبة**، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ط1، 1420هـ/1999م.

[2] – نفسه، وينظر أيضا: الهادي، سيف بن سالم، **الإباضية والمالكية، علاقة تاريخية وفكرية**، مكتبة خزائن الآثار، مسقط، ط1، 1436هـ/2015 م

[3] – النامي، عمرو، دراسات في الفكر الإباضي، مسقط: مكتبة الاستقامة ، الطبعة: الثانية،1413هـ/1992م، ص 48.

**والربيع بن حبيب ت: 175 ~ هـ** شخصية عمانية، ولد في منطقة غطفان بالباطنة، تلميذ مباشر لأبي عبيدة، أدرك الإمام جابر وهو صغير، يتمتع بقدرة فائقة على الاجتهاد، والإدارة السياسية، ألف كتابه مسند الإمام الربيع، تولى قيادة المدرسة الإباضية بعد أبي عبيدة.

* – ( تنظر سيرته من : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب لـ أحمد بن سعيد الدرجيني ( أبو العباس ) ، ج2، تح : إبراهيم طلاي ، ص323 . ، " رواية الحديث عند الإباضية " لـ صالح بن أحمد ألبوسعيدي ص89– 100– " دراسات عن الإباضية " للدكتور عمرو خليفة النامي ،تح : د/ محمد صالح ناصر و د/ مصطفى باجو، دار الغرب الإسلامي – بيروت– لبنان ، ط1: 2001م ، ص133 )

الإمام العالم الحافظ الفقيه أبو غانم بشر بن غانم الخراسانيّ، من أهل خراسان -كما يتبيَّن من نسبته إليها-.

نشأ أبو غانم في أحضان المجموعة العلمية التي بعثها أبو عبيدة إلى خراسان، وهي إحدى استراتيجيات الدعوة عند أبي عبيدة، حيث كان يبعث في كل أقليم إسلامي عددًا من الطلبة لا يقلُّون عن خمسة، تكون مهمتهم نشر العلم والفضيلة، وتأسيس البدايات الأولى للمدرسة الفقهية. يعد أبو غانم أحد أفراد الجيل الأول لهذه المدرسة، ففي المدونة ينقل كثيرًا عن حاتم بن منصور الخراساني، وجمع من علماء خراسان؛ لدرجة حكايته للعمل الفقهي عندهم.

قرر أبو غانم أن يرحل إلى البصرة، وينضم إلى الحلقة المباشرة لأبي عبيدة، قيل أنه أدركه في آخر عمره، وليس لدينا دليل قطعي على هذا اللقاء، وليس في نصوص المدونة -بحسب ما تتبعتُهُ شخصيًّا- ما يفيد تلقِّي أبو غانم من أبي عبيدة مباشرة، ولكننا نستروح من إطلاق أبي غانم عبارة: "الشيخ" في حق أبي عبيدة كلَّما ذكره؛ أنه قد أخذ عنه فعلًا، فإنَّ هذه العبارة لا تطلق عادة إلا على مَنِ استفاد منه العلم مباشرة، ومع ذلك يظلُّ هذا مجرد استقراء ناقص، تزيد فيه نسبة الاحتمال لاختلاف العُرف في هذا الإطلاق.

وبالنسبة لسنة الميلاد، لم تُحدِّد لنا المصادر شيئًا من ذلك، لكن إدراكه لأبي عبيدة، ونقله الكثير عن حاتم بن منصور؛ يجعل من سنة ميلاده قريبة من أوساط حياة علماء المدونة أنفسهم، وبالتقريب يمكن أن يكون قد ولد في العَقد الثالث من القرن الهجري الثاني، والله أعلم.

وإنما الثابت، أن أبا غانم رحل إلى البصرة، وعاش فيها فترة من الزمن، والتقى عددًا كبيرًا من علمائها، فضلًا عن علماء المدونة، فهو دائمًا ما يعبِّر عن درايته بأقوال

فقهاء المذهب، فيقول: "والعامة من فقهائنا"[1]، ويذكر أحيانًا أخرى المخالف لعلماء المدونة من داخل المذهب من غيرِ أن يسميهم، ومن الثابت أيضًا: أنه كان يتنقل بين حلقات المدارس الأخرى؛ فيطلع على أقوالهم، ويعرضها على علماء المدونة، ويُظهِر استيعابه لتلك الأقوال في المواقف الجدلية التي كان يُمثِّل بها المدارس الأخرى، خلال المناقشات التي كان يثيرها مع علماء المدونة.

ثم رحل إلى تيهرت (عاصمة الدولة الرستمية)، وفي طريقه؛ مرَّ بجبل (نفوسة)، وأودع نسخة من مدونته عند تلميذه عمروس بن فتح، وفي تيهرت؛ نزل ضيفًا مبجَّلًا عند الإمام عبد الوهاب الرستمي، فأهداه نسخة من مدونته التي بين أيدينا الآن، وهناك تتلمذ على يديه الإمام أفلح بن عبد الوهّاب الرّستميّ[2]، وعنه نقل الكثير من العلوم.

يمتلك أبو غانم قدرة عالية على استيعاب الأقوال الفقهية التي تزدحم بها منطقة العراق، ويحاول أن يعقد مقارنة بين تلاميذ أبي عبيدة[3] ونظرائهم من المدراس الأخرى، فكثيرًا ما يردد في المدونة عبارة: "إن هؤلاء يقولون ويروون عن فقهائهم"[4]، ومن أجل هذا نراه كثيرًا ما يُراجِع تلاميذ أبي عبيدة في اجتهاداتهم، بتذكيرهم أن هذا الرأي تقول به المدارس الأخرى، وليس

---

[1] – ينظر مثلا :أبو غانم بشر بن غانم الخرساني، المدونة الصغرى، وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عمان ، الطبعة الأولى 1404هـ/1984م.

ج2 ص: 240، 241، 244، 245 وغيرها

[2] – الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، هو الإمام الثالث من أئمة الدولة الرستمية، تولى الإمامة في سنة 208هـ ، بعد وفاة والده الإمام عبد الوهاب ، وقد كان من كبار العلماء، بويع بالإمامة سنة 208هـ وتوفي : سنة 258هـ ( معجم أعلام الإباضية ، 61/2 رقم الترجمة : 116) .

[3] – أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ت: 145 ~ هـ شيخ الإباضية الثاني والتلميذ المباشر للإمام جابر بن زيد، أخذ على نفسه تولي المدرسة الإباضية وتنظيم حلقاتها، وإدارة شؤونها السياسية، يجمع بين الاجتهاد الفقهي والسياسي، وتمكن في ظرف قصير من رعاية ثلاث دولة إباضية، في عمان واليمن والمغرب، تخرج على يديه من يعرفون بحملة العلم. ينظر: الراشدي، مبارك، أبو عبيدة وفقه، الطبعة الأولى، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط1، 1412هـ – 1992م

[4] – ينظر مثلا المدونة : ج 1 ص 16. 17، 56 , 72 ، 115 ، 119 ، 120 ، 236 ، 240 ، 243 ، 259 ، 271، وغيرها كثير في الجزء الثاني

هو من خصوصيات المذهب، يقول أبو غانم: "إن هذا قول قومنا"[1]، بل في كثير من الأحيان يبين أبو غانم لعلماء المدونة أن هناك آراء أخرى، ربما لم يطلعوا عليها، تقول بها المدارس الأخرى، يظهر ذلك في قوله: "وهل علمت ما قال هؤلاء؟، فيجيبونه: "وما قالوا؟"، وقد أدرك علماء المدونة أن كثرة أسئلة أبي غانم، وإيراده لأقوال المدارس الأخرى؛ هدفها المقارنة، فقد صارحه بعضهم بذلك مصارحة لا تتضمن إنكارًا لما يصنع بقدر ما تتضمن الإعجاب الخفي بصنيعه: "ولكني أحسبكَ رجلًا قد رَوَيْتَ فقه هؤلاء المخالفين لنا في المكاتبة، وعرفت أقاويلهم في جميع ما جعلوا للمكاتَب فيه عبدًا، فأنت تُدخِل علينا مسائلهم؛ لنجيبك بالذي نعرف من قولهم ومسائلهم"[2]، وفي أحيان أخرى –كما يظهر في المدونة–، يمثل أبو غانم دور المجادِل عن أقوال المدارس الأخرى، فيناقش علماء المدونة نقاشًا طويلًا في بعض المسائل، ويسرد الأدلة، ويناقش وجوه الاستدلال.

استمر أبو غانم في هذا الجهد العلمي فترة طويلة من الزمن، فهو مسكون بقضية المقارنة الفقهية على مستوى المذهب، لكنه يلجأ إلى تجاوزها؛ لتكون مقارنة فقهية عامة، ما بات يعرف في المدراس الحديثة بـ "الخلاف العالي"، ومثل هذه العقلية الفذة التي تعشق المقارنة والتدوين؛ ستترك بصمة علمية كبيرة، وستكون نموذجًا جيدًا لتوسيع دائرة اختلاف التنوع بين المدراس الإسلامية من جهة، وتقليل جفوة الأقران عند الاختلاف على مقاصد الإمام، أو الخروج عن نسقه الفلسفي.

تذكر المصادر أنَّ لأبي غانم كتابين؛ هما:

1- المدوّنة: وهي التي اعتمدنا عليها في معرفة فقهه، وأهدافه العلمية.

2- اختلاف الفتيا أو الفتوى: وهو يخدم هدفه العام كما وضَّحنا، ولكن محجوب عنا إلى اليوم، ولربما هو المدونة نفسها؛ لأن اختلاف الفتوى فيها ظاهر جدًّا، ولعل

---

[1] – ينظر مثلا المدونة : ج1 ص 38 ، 209، 274 ، 309 ، 383 وغيرها

[2] – المرجع السابق ج1 ص 358

بعضهم سماها بهذه التسمية؛ لِما رأى فيها من كثرة الاختلاف، والله أعلم.

وبالنسبة لوفاته، فتذكر بعض المصادر أنّ وفاته كانت سنة 200هـ/815م، والمسألة تحتاج بعض التحقيق، فقد ذهب الدكتور صالح البوسعيدي إلى أن وفاته كانت سنة 220 تقريبًا[1]، على اعتبار أنه أودع نسخة عند أبي حفص عمروس بن فتح المساكينيّ النّفوسيّ[2] في طريقه إلى تيهرت لملاقاة الإمام عبد الوهاب، وحيث أن عمروس شارك في معركة (مانو) التي أُسِرَ فيها وتوفي عام 283، وقد كان آنذاك -كما تصفه المصادر- قويًّا صلبًّا، فيبعد أن يكون لقاء أبي غانم به قبل عام 200 هـ؛ لأن عمره -يعني: عمروس- سيكون حينئذ -أثناء تلك المعركة- 103 سنوات، وهو استنتاج وجيه، وقد مكث أبو غانم في تيهرت شيخًا، يدرس عليه الإمام أفلح بن عبد الوهاب، ويقرأ عليه مروياته عن تلاميذ أبي عبيدة، ولم تذكر المصادر تدخُّل أبي غانم في إمامة الإمام أفلح، مع كثرة الأحداث التي دارت حولها، وهو شيخه الذي لا يخرج عن أمره، وقد كانت بيعته الإمام أفلح عام 208هـ، والله أعلم.

**المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه**

تولى أبو غانم تحديد شيوخه في مقدمة كتابه "المدونة"، وهم: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والرّبيع بن حبيب، وعبد الله بن عبد العزيز، وأبو المؤرّج عمر بن محمّد، وأبو غسّان مخلد بن العمرد، وأبو أيّوب وائل بن أيّوب، وأبو سفيان محبوب بن الرّحيل، وحاتم بن

---

[1] – ألبوسعيدي، صالح بن أحمد، رواية الحديث عند الإباضية، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط1، 1420– 2000م.

[2] – أبو حفص عمروس بن فتح، ولد في قرية قطرس في ليبيا ، وتوفّي سنة 283هـ، شهد معركة (مانو) بين النّفوسيّين والأغالبة وأُسر فيها، له مؤلّفات عديدة منها: "الدّينونة الصّافيّة" و"كتاب العمروس"، وهو الذي نقل مدونة أبي غانم عندما استودعه إياها وهو في طريقه الى تيهرت ينظر: (معجم أعلام الإباضيّة، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 1420هـ/1999م، 10/ 67).

منصور، وأبو المهاجر هاشم بن المهاجر[1]، وضمام بن السّائب[2]، وأبو نوح صالح الدّهّان[3]، شعيب بن معروف ، حاجب الطائي [4]، ابن عبّاد المصريّ، وهو الذين تدور عليهم رحى المقارنة الفقهية في المدونة، ويسثير أبو غانم قدراتهم على الاستنباط من خلال فرض المسائل، أو عرض اختلافاتها.

لم تذكر المصادر عن تلاميذ أبي غانم شيئًا، لكنها تشير إلى رحلته النفوسية، حيث التقى بأبي حفص عمروس بن فتح المساكينيّ النّفوسيّ، والإمام أفلح بن عبد الوهّاب الرّستميّ، أما الأول فقد التقاه في طريقه إلى الدولة الرستمية وعاصمتها تيهرت، فأودع عنده نسخة من المدونة، وقام هذا الأخير بنسخها –دون علم صاحبها–؛ ليحافظ بذلك على هذا

---

[1] – تنظر سيرته هؤلاء العلماء في: طبقات الدرجيني 233/2. كتاب السير للشماخي 97/1 . تعليق السالمي في مقدمة المدونة، مخطوط. تراجم الأعلام للنامي في ملحق أجوبة ابن خلفون 107. أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، مبارك الراشدي ص 232. وقد أعطيت تعريفا عنهم في بحث آخر تولت نشره مجلة الدراسات الفقهية والأصولية بالجامعة الإسلامية العالمية تحت عنوان " الاستدلال بالقياس عند الإباضية في القرن الثاني الهجري"

[2] – ضمام بن السّائب: أصله من عمان من النّدب، ومولده بالبصرة من علماء الطّبقة الثّانية من أئمّة الإباضيّة وفقهائهم، أخذ العلم عن جابر بن زيد، وكان ممّن تصدّر للفتيا في أيّام أبي عبيدة وقد دوّنت رواياته عن جابر بن زيد في كتاب "روايات ضمام"، جمعه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة، وقد ذكر الإمام أحمد أنه من أصحاب جابر بن زيد، جاء في كتابه العلل : " قلت ليحيى شيخ حدث عنه معتمر يقال له أبو عبيدة عن ضمام عن جابر بن زيد كره أن يأكل متكئا من أبو عبيدة هذا قال رجل روى عنه معتمر ليس به بأس يقال له عبد الله بن القاسم قلت من حدث عنه غير المعتمر قال البصريون يحدثون به عنه قلت ليحيى فضمام هذا الذي روى عنه أبو عبيدة من هو قال: شيخ روى عن جابر بن زيد روى عنه أبو عبيدة هذا وروى عنه معمر يعني ضماما " المصدر: (العلل ومعرفة الرجال ج3/ص11 ، يوسف المزاتيّ: أجوبة ابن خلفون، 112)

[3] – أبو نوح صالح بن نوح الدّهّان: سكن البصرة وكان مسكنه في طئ، كان شديد الورع غزير العلم، أخذ عن جابر بن زيد وغيره، وعنه أخذ الرّبيع، وأبو نوح تعرفه كتب الصحاح والسنن، وقد أجمعوا على توثيقه، مع تنصيصهم أنه يروي عن الإمام جابر " المصدر: (الدّرجينيّ: الطّبقات،254/02/ ، الشّمّاخيّ: كتاب السّير، تحقيق أحمد بن مسعود السّيابيّ، 1407هـ/1987م، وزارة التّراث القوميّ والثّقافة82/01).

[4] – حاجب أبو مودود حاجب الطّائيّ: أصله من عمان وكان مولده بالبصرة، وكان السّاعد الأيمن لأبي عبيدة في نشاطاته وكان هو القائم بشؤون الحرب وجمع المال وشراء السّلاح والنّظر في أمور الدّعوة والمجالس، توفّي في أيّام أبي جعفر المنصور، المصدر: (يوسف المزاتيّ: أجوبة ابن خلفون، 114).

السفر العلمي العظيم من الضياع، وأما الإمام أفلح، فقد أقام عنده أبو غانم فترة طويلة من الزمن، يروي له الأحاديث والعلوم التي تلقاها من تلاميذ أبي عبيدة –رحمهم الله–، وربما هناك سبب آخر يدفعنا إلى البحث عن قلة التلاميذ، وهو اشتغال أبي غانم نفسه بالمقارنة بين علماء المذهب، واستفراغ الوسع الكبير في تقليل المسافات السياسية بينهم، ولأنه كان كثير الترحال والتنقل كما بيَّنا.

**المطلب الثالث: الصفات العلمية والخلقية**

ويمكننا تحديد صفات أبي غانم العلمية من خلال نصوص المدونة في النقاط الآتية:

1- القدرة على عقد المقارنات الفقهية بين علماء المدونة بعضهم مع بعض وبينهم وبين المدارس الأخرى.

2- مناقشة علماء المدونة في مخالفاتهم لأبي عبيدة وجابر بن زيد، وفي خلافهم مع المدارس الأخرى، وهنا يمثل نفسه وحدًا من أفراد تلك المدارس، قال في المدونة: "سألت أبا المؤرج عن رجل زنا بأخت امرأته؟"، قال: قد سئل أبو عبيدة عن ذلك، فقال: كان جابر بن زيد يقول: "قد حرمت عليه امرأته". قال ابن عبد العزيز: بلغنا ذلك عن جابر كما قال أبو المؤرج، ولسنا نأخذ بذلك من قول جابر، ولا نعتمد عليه، وقد جاء في ذلك اختلاف من الفقهاء، غير إنه لا تحرم عليه امرأته عندنا، ولكن يعتزل امرأتَه حتى تنقضي عدةُ التي زنا بها، ثم يحبس امرأته، لا بأس عليه بحبسها. قلت له: ما سمعت بهذا القول، رجل زنا بأخت امرأته ثم يحبس امرأته؟! قال: وما يحرمها عليه، أيحرِّم الحرامُ الحلالَ؟ قلت: يحرِّمُها عليه وطؤها، ومن هاهنا يحرمها عليه مَن يحرمها من فقهائنا؛ لأنه حين وطئها فقد حرُمت عليه أختها؛ لأنه قد جمع بينهما بوطئه إياهما. قال: وإنما العلة هاهنا والحرام من قِبل الوطء، وهو الذي أوجب عليه فراقها. قلت : نعم. قال: فما تقول، وما يبلغك عن فقهائك الذين وصفت، في رجل تزوج امرأة وأقام معها زمانًا، ثم تزوج أخرى فوطئها، وقد كان وطئ الأولى، ثم وجدها أخت امرأته الأولى؟ قلت: أقول بقول فقهائنا، يفارق

الأخرى التي دخل بها بالحرام. قال: أفتحرم عليه امرأته الأولى؟ قلت: لا، قالوا : يحبس الأولى، قال : ولِمَ يحبسها وقد جمع بينهما بالوطء، فقد زعمتَ أن وطء الأخرى هو الذي حرَّم عليه الأولى؟ قلت: عسى فقهائي يقولون: إنما وَطِئَ هذه الأخيرة بالنكاح، وإنما وطئ هذه بالزنا؛ فليستا سواء. قال: أنت في هذا الموضعِ ساكتٌ؛ فالصمتُ أجملُ لكَ من سوءِ الحكايةِ عن فقهائِك الذين تُرِيدُ أن تَبلُغَ بهم الشرفَ، وتَنفِي قولَ السُّوءِ عنهم. قلت: أَوَلَيسَ قد احتججتَ بِحُجَّةٍ؟ قال: إنَّك لم تَقُل شيئًا. قلت: ومِن أين ذلكَ؟ قال: لأنَّ وَطْأَه إيَّاها بالنكاح أو بالزنا حرامٌ، لا يصلُح له وطءُ الأُخرى بعد الأُولى، وقد بَلغَنا مع ذلك قولُ جابرِ بنِ زيدٍ أنه كان يقولُ: يُفَارِقُهُمَا جميعًا، وله فيما سِوَاهُمَا سَعَةٌ ومَندُوحَةٌ، وهو أَقْوَدُ لقوله هذا، ولو كنتُ أخذتُ بشيءٍ من هذه الأقاويل؛ لأخذتُ بقوله، ولكن قولي الذي أعتمدُ عليه؛ أنها لا تحرم عليه امرأته، ولا يُفرَّق بينه وبينها"[1]، وفي المدونة نماذج جدلية كثيرة من هذا النوع.

3- إصرار أبي غانم على إتمام السؤال، ومواصلة التفريع حتى يستقر له الرأي كاملًا، على الرغم من عتاب علماء المدونة له، وزجرهم إياه، وأكثر مَنْ يجترئ عليه منهم؛ ابن عبد العزيز، بينما لا يواصل ذلك مع أبي المؤرج[2].

4- يبدي إعجابه ببعض علماء المدونة، كعبد الله بن عبد العزيز، على الرغم من كثرة مخالفته لشيخه أبي عبيدة، ويصفه بأنه الوحيد من بين علماء المدونة مَن يمكِّنه من الأسئلة الكثيرة والتفريع منها[3]، ويسمح له بالنقاش الحر والمعاتبة العلمية، وهذا يعني أن هدف أبي غانم ليس تسجيل أقوال أبي عبيدة فقط، وإنما تَجْلِيَة المنهج الفقهي والتأصيلي عند علماء هذه المدرسة؛ حتى يكونوا أئمةً يقتدي بهم مَن بعدهم.

5- للإمام أبي غانم آراء فقهية خاصة، كما أنه يرجِّح من أقوال علماء المدونة بعضها ما

---

[1] – ينظر الحوار في المدونة ج1 ص 199.

[2] – ينظر الحوار في المدونة ج1 ص 357.

[3] – ينظر الحوار في المدونة ج1 ص 252.

يرى عليه العمل[1]، وهو وإن كان قليلا –بالمقارنة مع كثرة الأقوال التي يحكيها دون ترجيح– إلا أنه مؤشر على علمه، ومقدرته الاجتهادية.

6- يتحلى أبو غانم بمقدرة علمية كبيرة، تظهر في قدرته على استخدام القياس والاحتجاج به، ومعلوم أن القياس يُعَدُّ من أصعب أبواب الأصول، وأعقد مصدر تشريعي وصل إليه العقل الإسلامي، والمتمكن منه يُعَدُّ عالما مجتهدًا، فمن عباراته التي تشهد بذلك قوله عندما يناقش أبا المؤرج: "وأردتُّ إدخال القياس عليه؛ فلم يُمْكِنِّي"[2]، كما أنه يستخدم القياس في نقاشه مع ابن عبد العزيز، محاولاً إرجاعه إلى الأخذ برأي شيخه أبي عبيدة[3].

7- على الرغم من أن أبا غانم جعل مدونته فرصة لتدوين أقوال هذا العدد الكبير من

---

[1] – ينظر مثلا المدونة في باب زكاة النقدين : قال الربيع وابن عبد العزيز : ما زاد على المائتين فلا شيء عليه حتى يبلغ أربعين درهمًا، وما زاد على عشرين مثقالا من الذهب فلا شيء فيه حتى يبلغ أربعة مثاقيل .

وإذا كان لرجلٍ عشرةُ مثاقيلَ من ذهبٍ ومائةُ دِرهَمٍ فضةً فحال عليها الحولُ. فقولُهُما جميعا الربيعُ وابنُ عبد العزيز أن فيه الزَكاةَ ؛ وبه نأخذُ ." وينظر أيضا : ج2 ص 200 ، 201 ، 202 ، 205 ، 207 ، 208 ، وغيرها ، وهذه الترجيحات تظهر في الأبواب الأخيرة من المدونة مما يدل على أن تأليفها جاء بعد التأليف الأول للمدونة في البصرة ، وبعد التقاء أبي غانم بابن عباد في مصر ، حيث كان قد بلغ مرحلة جيدة من المقدرة العلمية .

[2] – المدونة ص ج2 ص 175

[3] – قلت لابن عبد العزيز: فما وجه قول الله تعالى﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ البقرة:182 ، فما يقول المفسرون ؟ قال: يقول المفسرون: أما الجَنَفُ فهو غيرُ مُتَعَمّدٍ للجُورِ في الوصيةِ، وأمَّا الإثمُ فهو المُتَعَمّدُ للجُورِ في الوَصِيَّةِ. قلت: إنهم يَروُونَ عن جَابِرِ بنِ زَيدٍ أنه قال: من جَارَ في وَصِيَّتِه وأَثِمَ فِيهَا[4] فَقَد أَحَلَّ الله لِوَلِيّه أو لإمَامٍ من أَئِمَّةِ المسلِمِينَ أن يَحُولَ ذلكَ ويَرُدّه إلى العَدلِ؟

قال: أفكُلُّ الناسِ إذَا أخطَأُوا رُدُّوا إلى العَدلِ ؟ قلت: نعم.قال: فما يقولون فيمن طَلَّقَ امرأتَه ثلاثًا؟ قلت: يقولون أخطأَ السنةَ وعَصَى ربَّه وحَرُمَت عليه امرأتُه. قال: أفتردُّونَه إلى طلاقِ السنةِ الذي أَمَرَ اللهُ تَعَالى به النبيَّ عليه السلام، ولا تُجِيزُونَ عليه التطليقتين ؟ قلت: بل يُجِيزُونَ عليه التطليقتين، ويُحَرِّمُونَ عليه امرأتَه. قال: كذلك قُلنَا لكَ نحن نُجِيزُ وصيَّتَه، وقد خالفَ السنةَ وعَصَى ربَّه وتركَ الأمرَ الذي فيه الفضلُ. قلت: فما تصنع بقول من يقول وتأول قول الله تعالى ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ، قلت: فما تأويل ذلك ؟قال: يقولون: من سَمِعَ من الميّتِ أنَّه أَوصَى لآلِ فلان فيُحَوّلُها الوصيُّ لآلِ فلانٍ من قومٍ آخرينَ، فهذا هو= =التبديلُ. قلت: أما في القياسِ فإنَّ هَذَا القولَ قويٌّ، فمَا أَدرِي أَيَهدِمُ هذا الأثرَ أم لا ؟ قال: الآثارُ في ذلكَ مِنكَ وممن خالفَكَ تَكثُرُ، غيرَ أنَّا نقولُ في ذلك بِرَأيِنَا والله أعلم، وقولُنَا لِقَولِ المسلمِينَ تَبَعٌ." وتنظر أيضا الإحالة الرابعة من هذه الرسالة .

العلماء، إلا أنه يحاول –في كثير من الأحيان– أن يُؤسِّس لأقوال معتمدة في المذهب الذي ينتمي إليه، حتى تُصبِح تلك الأقوال مُعتَمَد الأجيال اللاحقة، وذلك يظهر عنده في أمرين:

أ– كثيرًا ما يشير إلى القول الراجح، وما عليه العمل، وذلك في الأبواب الأخيرة فقط من المدونة، وقد يذكر البعض أن أواخر المدونة ليست منها.

ب– كثيرًا ما يبيِّن أن ذلك القول هو قول أبي عبيدة، والعامة من فقهاء المدرسة الإباضية[1].

أما صفاته الخلقية، فالذي يظهر من نصوص المدونة؛ أن أبا غانم يتمتع بأخلاق عالية، وصفات جليلة، جعلتْه محبوبًا بين علماء المدونة، محترمًا بينهم، ويتجلى ذلك في النقاط الآتية:

1- احترامه للإمام جابر بن زيد، وتلميذه أبي عبيدة، يتمثل ذلك في وصفه لأبي عبيدة بلفظة "الشيخ"[2]، وهو مصطلح نادر الاستعمال للوصف العلمي والقيادي في ذلك الزمان.

2- سرده لأقوال علماء المدونة، دون أن يُعلِّق على أيِّ رأي منها، محترمًا بذلك نفسه، كطالب بين مجموعة من العلماء، على الرغم من تخطئة علماء المدونة لآراء بعضهم البعض، غير إن ذلك لم يدفعه إلى الانتصار لرأي دون آخر.

3- يتعرض أبو غانم لكلمات ثقيلة من بعض علماء المدونة، مثل: "يا عاجز"، "ما أحسبك تعقل"، "لست من أهل القياس"، "سخروا منك"، ومع ذلك يتقبَّل ذلك تقبُّل التلميذ من شيخه الذي يروم اختباره، ومعرفة درجة حرصه على العلم، ثم يُعاوِد أسئلته دون كَلَلٍ، ولا يَظهر عليه أن تلك الكلمات تؤثر في الهدف الذي خَطَّط من أجله،

---

[1] – ينظر مثلا المدونة : ج2 ص 240 ، 241 ، 244 ، 245 وغيرها

[2] – ينظر مثلا المدونة :ج1 ص 151 ، 110 ، 116 ، 137 ، 297 وغيرها ، وقد زعم بعض الكتاب في هذا العصر أن إطلاق لفظة الشيخ على العالم جاءت في العصور المتأخرة ، والمدونة كما علمنا تنفي ذلك .

بدليل أنه لا يتردد في كتابة الكلمات التي تعرض لها أثناء حواره مع علماء المدونة [1].

4- يرى أبو غانم أن الخلاف في الرأي مشروع، وأن الاجتهاد هبة ربانية لعلماء الأمة، فإذا أغلق على بعضهم، وفُتح على الآخر؛ فإن الأمر طبيعي وسليم، لا يقلل من شأن العالِم الآخر، أو يحط من قدره، ولذلك عندما يُفتح على أحد علماء المدونة في مسألة اجتهادية، ولم يُفتح على الآخر؛ فإنه يأتي إليه ضاحكًا متبسمًا؛ ليخبره بما فُتح على أخيه[2]، وكأنه بذلك يبعث رسالة.

## المبحث الثاني: المدونة

تعد مدونة أبي غانم باكورة التأليف في الفقه الإباضي، لم يتقدمها سوى آثار الربيع ومسنده، وكتاب الزكاة لأبي عبيدة. ومهمتها جمع الأقوال الفقهية لتلاميذ أبي عبيدة، وتوزيعها على أبواب الفقه المختلفة، والمقارنة بينها عن طريق الحوار المباشر مع أربابها، ولذلك اشتغل عليها علماء الإباضية لاحقًا، وأضافوا من أقوال المتأخرين في المسائل

[1] – مثال ذلك ماجاء في المدونة ج1 ص 365 : " قلت: لقد خالفت هاهنا قول إبراهيم، وهو يقول في المرأة أنها طالق إن تزوجها، والغلام حر إن اشتراه. فقال لي: إني أراك لا تعقل، كيف تريد أن آخذ بقوله في كل ما يقول.قلت: لا، إلا أني رأيتك شديد العجب بقوله. قال: ذلك في كلما يصيب فيه ويحسن فيه النظر، وأما ما يغفل فيه النظر، فلست بقابل ذلك منه ولا راض به عنه ولا عن من هو أكبر منه عندي." وينظر أيضا ص : 307، 316 .

[2] – مثال ذلك ما جاء في المدونة : ج1ص 349 " قلت لعبد الله بن عبد العزيز: فالرجل يشتري نصيب أحد الرجلين، ثم يبيع بعض ما اشترى، ثم يجيء الشفيع، فيقوم على شفعته، وقد فات البيع؟ قال: أسألت عنها أحدا غيري؟ قلت: لا. قال: فاذهب فاسأل عنها أبا المؤرج، ثم عد إلي فأعلمني بما أجابك فيها، فأتيت أبا المؤرج، وسألته عنها فلم يجبني فيها بشيء وقال: الله أعلم، فانصرفت راجعا إلى ابن عبد العزيز فأعلمته أنه لم يجبني= =فيها بشيء قال: هي من المسائل المعضلات. قلت: فما تقول فيها؟ قال: يقوم فيقوم الذي باع على قدر القيمة من الشراء، ثم يعطي الشفيع على قدر القيمة من الثمن الذي اشترى به، ثم انصرفت راجعا إلى أبي المؤرج، فلما رأيته تبسمت في وجهه، فقال لي: وما يضحكك؟ قلت: المسألة أجابني فيها ابن عبد العزيز بكذا وكذا.قال: أوقعها في اللوح، ثم قال: ليس هذا من رأيه، ولكنه سماع من بعض المجالس أو بعض من يلقى من الفقهاء؛ فأعلمت ابن عبد العزيز بقوله، فضحك وقال: عفا الله عن أبي المؤرج. "

نفسها؛ لتخرج بعد ذلك "المدونة الكبرى". تذكر المصادر أن أبا غانم رحل إلى البصرة، ومصر، والدولة الرستمية، والتقى بعلماء المدونة في كل هذه المناطق.

**أهداف التأليف**

كان القرن الأول الهجري مهمًّا في تاريخ الأمة الإسلامية من كل النواحي، فالعلماء يواجهون تغيرات كثيرة في حياة الناس ومعاملاتهم، وتغيرات مماثلة في النواحي السياسية وشؤون الحياة، إضافة إلى ظهور فرق كلامية وسياسية نشطة، تقدم رؤيتها للأحداث والمسارات التشريعية، وقد خرج بعضها يستعرض الناس بالسيف، ما ولَّد ردة فعل إعلامية وعلمية، تعمل على التكفير أو التبرير.

اتخذ الإباضية منذ البداية مسلكا واضحا في التعامل مع الأحداث، ورفضوا أن يكونوا جزءا من الخوارج الذين انتقلوا من المعارضة الكلامية إلى الصدام المسلح، ففضَّلوا أن يكون التغيير بعيدًا عن المواجهة المباشرة، قريبًا من روح التغيير النبوي عندما هاجر من مكة إلى المدينة. وبناء على هذا المسلك، فإن التسليم بالسياسة القائمة؛ ضروري لاستبقاء حالة الهدوء الساسي والاستقرار، دون أن يقدموا تشريعات تبريرية، أو يوافقوا على طريقة انتقال الحكم. وهذا يعني بالضرورة أيضًا، أن تكون الأحكام الفقهية والعقائدية متسقة مع هذا التوجه، بعيدة عن الأحكام المتطرفة أو الغلو في الدين؛ لأن ذلك يعني استبطان العنف، والتربية عليه، وتحويله لاحقًا إلى مواجهة مسلحة.

ربى أبوعبيدة تلاميذه على قبول الواقع السياسي، والتعاطي مع متغيراته بالحكمة والهدوء، واشتغل في سردابه على إقامة دول أخرى على نموذج الخلافة الراشدة، ولكنها بعيدة عن منطقة النفوذ الأموي والعباسي، ويمكن الرجوع إلى تفاصيل هذه الرؤية السياسية في المصادر المتخصصة. قدم بعض تلاميذ أبي عبيدة آراء مغايرة تسمح بالإقصاء والتكفير، وترفض الاصطفاف مع الأمويين في شعائر العبادات، كنوع من الإنكار الذي

يفرضه مبدأ الولاية والبراءة، مثل: "تكفير المجسمة، والوقوف في شأن المرأة المتبرجة، وصلاة الجمعة خلف الجبابرة"[1]، وتمثل هذه الآراء من أبو المؤرج، وابن عبد العزيز، وحاتم بن منصور، وهذا الأخير من خرسان أيضًا.

قرر أبو عبيدة إبعاد هؤلاء التلاميذ من حلقات درسه، ورفض أن يكونوا جزءًا من مشروعه الإصلاحي الجديد، لكنهم رجعوا عن آرائهم لاحقًا؛ فعادوا إلى حلقاته. وبعد وفاة أبي عبيدة، تولى الإمام الربيع بن حبيب قيادة المشروع السياسي؛ فوجد أقرانه –سالفي الذكر– فرصة للعودة إلى آرائهم من جديد، مما سمح للربيع مرة أخرى بإبعادهم عن دائرة الجماعة؛ فانتقلوا من البصرة إلى مصر، وبلدان الغرب الإسلامي، واشتركوا في مجموعة من الأحداث الإباضية هناك، ما ولَّد بينهم والربيعَ قطيعةً علمية وسياسية، وأنذر ذلك ببدايات أولية لتشكيل فصيل إباضي مستقل.

كان هدف أبي غانم هو محاولة التوفيق بين هؤلاء السبعة، ورَأْب كلمتهم، وتقريب المسافات التي توسعت بينهم، وجمع آرائهم ونقولاتهم عن أبي عبيدة؛ خشية اندراسها، وبناء علاقة طيبة بينهم من جديد من جهة أخرى، فنجح في ذلك، وقدم للمكتبة الإباضية سفرا علميا ثمينا، يقول عنه الدكتور عمرو النامي: " ... على أي حال، قدمت المدونة آراء الإباضية حول الشؤون الدينية والشرعية والفروق في الرأي، ووجهات نظر العلماء الإباضيين وآراءهم التي تتعلق بالفروق المشهورة في آراء علماء السنة، كما تعطي عرضًا واضحًا لتطور الفقه الإباضي في أزمنته الأولى"[2]، وفي موضع آخر قال أيضا: "وتشكل هذه الأعمال المذكورة العمود الفقري للفقه الإباضي، في القرنين الأوليين، وهي تحتوي عرضا واضحا ومفصلا للجهود التي بذلها العلماء الإباضين الأوائل، في تطوير مذهبهم، والدراسة الحالية لطبيعة الفقه الإباضي، وللوسائل التي اعتمدها مؤسسوه، مبنية

[1] – لا يجيز الشيخان صلاة الجمعة خلف الجبابرة ، ويقولان بكفر المجسمة لله تعالى ، ويقفان في شأن المرأة المتبرجة، بينما يرى الإمام الربيع جواز الصلاة خلفهم ولا يصل بالمجسمة إلى حد التكفير .

[2] – دراسات عن الإباضية، ص : 136

بالدرجة الأولى على تلك الأعمال، وهكذا فإنه يمكن إعطاء عرض واضح للآراء الإباضية الخالصة، قبل احتمال وقوع أي اتصال مباشر بين المذهب الإباضي ومذاهب الفقه الإسلامي الأخرى التي تأسست في وقت لاحق"[1].

ولما كان أبو غانم يهدف من تأليف المدونة إحصاء أقوال شيوخ المدرسة، وتلاميذها، ومعرفة القدرة العلمية التي ورثها هؤلاء عن أشياخهم؛ ضمت المدونة كمًّا كبيرًا من هذه الأقوال؛ بلغت في داخل المدرسة 1907 لـ 16 شيخًا من شيوخ المدرسة الإباضية، وقد سبق للباحث أن جمع هذه الأقوال في رسالة سابقة[2]، وهي كالآتي:

| الفقهاء | عدد أقوالهم في المدونة |
|---|---|
| جابر بن زيد | 25 |
| أبو عبيدة الشيخ الكبير | 137 |
| حاجب الطائي | 1 |
| أبو نوح صالح الدهان | 5 |
| ضمام بن السائب | 6 |
| عبدالله بن عبد العزيز | 689 |
| أبو المؤرج | 452 |
| الربيع | 359 |
| حاتم بن منصور | 79 |
| ابن عباد | 68 |

[1] – المرجع السابق ص : 141

[2] – ينظر : الهادي، سيف بن سالم، مدونة أبي غانم، معالم وأعلام، رسالة ماجستير، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس، المملكة المغربية، 2007م، لم تنشر.

| | |
|---|---|
| أبو المهاجر | 57 |
| أبو غسان | 41 |
| محبوب بن الرحيل | 11 |
| أبوأيوب وائل بن أيوب | 10 |
| شعيب أبو المعروف | 2 |
| أبو تميم | 1 |
| فقهاء غير معينين | 32 |

**مصادر المدونة**

حدد أبو غانم سبعة من تلاميذ أبي عبيدة، ولكنه توسع في ثناياها؛ لينضمَّ إليهم عدد آخر –ربما كانت أقوالهم أكثر عددا– من بعض الذين حددهم في المقدمة، وقد يعود ذلك إلى أن المدونة كانت عبارة عن مسودات متفرقة، جمعها أبو غانم لاحقًا في كتاب.

ويمكن أن نحدد معالم المنهج الذي سار عليه أبو غانم في تعامله مع علماء المدونة في النقاط التالية:

1- حدد في البداية –كما أسلفنا– سبعة من العلماء، ذكر أنه سأل بعضهم مشافهة، وسأل بعضهم الآخر بطريق الواسطة، وقد حدد هذه الواسطة في النقل عن الربيع وابن عباد، أما أبو المؤرج، وأبو سعيد، وأبو المهاجر، وأبو غسان، وحاتم بن منصور؛ فقد التقى بهم في كل نصوص المدونة تقريبا، إلا في بعض المواضع التي ذكر فيها أنه نقل عنهم بواسطة، ويمكن تحديد أسماء الرواة الذين نقلوا إليه الأقوال عن الربيع وابن عباد في الآتي:

أ– الربيع بن حبيب: روى عنه محبوب بن الرحيل، وهو ربيبه، وأبو أيوب وائل الحضرمي.

ب– ابن عباد: روى عنه أهل مصر، ولم يحدد مَن هم.

2- لدى أبي غانم حرص شديد على معرفة أقوال أبي عبيدة، وتقييدها عن طريق تلاميذه، ولذلك صدّر كتابه برواية الربيع عن أبي عبيدة، ثم قرر الاعتماد على أبي المؤرج في النقل

أكثر من غيره، نظرا لحرص أبي المؤرج –أكثر من غيره– على الرواية عن شيخه أبي عبيدة، ففي كتابَي الطهارة والصلاة اللذَين اتخذناهما نموذجًا في الاختلاف الفروعي بين علماء المدونة؛ سجل أبو غانم واحدًا وخمسين (51) قولًا عن أبي المؤرج، كلها يرفعها إلى أبي عبيدة، وسجل له واحدًا وسبعين قولًا لم يرفعها، في حين رفع الربيع سبعة أقوال فقط، ورفع أبو سعيد ثلاثة أقوال.

3- لم تأت الرواية عن الربيع في المدونة دائمًا بواسطة، وإنما تأتي في أحيان أخرى بالمقابلة والتحديث المباشر، ويمكن تحديد صورة هذه الجزئية في النقاط الآتية:

**أ–** في كتابَي الطهارة والصلاة، كانت لقاءات أبي غانم مع الربيع مباشرة، وعندما وصل إلى باب الصوم، ثم الأبواب الأخرى؛ تحول النقل عنه بواسطة، ولا نملك ما يدلنا على سبب ذلك، وأقدِّر أنه يعود إلى واحد من أمرَين:

– إما أن بداية تأليف المدونة كان في البصرة، حيث يتمركز فيها كل علماء المدونة، ثم لما حصل التفرُّق في الأمصار؛ رحل أبو غانم إلى أبي المؤرج، وابن عبد العزيز، وحاتم بن منصور في مصر، ومن ثم إلى الدولة الرستمية في الجزائر حاليًا، واكتفى بنقل أقوال الربيع بطريق الواسطة.

– وإما أن الربيع رحل إلى عمان –كما تذكر بعض المصادر–، ووفاته بها، ولربما رجع إلى البصرة –كما ذهب بعض الباحثين–، ولكن أبا غانم قد رحل ساعتها أيضًا إلى خارج البصرة.

**ب–** عاد أبو غانم في الأبواب الأخيرة من المدونة إلى النقل عن الربيع، ولكنه لم يذكر هذه المرة هل نقل رأيه مباشرة أو بواسطة، ما يعطي دليلًا على أن الكتاب كان عبارة عن كراريس أو مسودات تم ضم بعضها الى بعض، وصنَّفها كتابًا فيما بعد، والله أعلم.

4- بعد الخلاف الذي وقع بين الربيع وأبي المؤرج وابن عبد العزيز وحاتم بن منصور، حول

إمامة عبد الوهاب وثورة ابن فندين؛ وقع نوع من الافتراق الفكري حول بعض القضايا: " كتكفير المجسمة، ومسألة الوقوف في شأن المرأة المتبرجة، وصلاة الجمعة خلف الجبابرة"[1]؛ إذ رحل أبو المؤرج وابن عبد العزيز إلى مصر، وهناك اتصل بهما النكارية، معتمدين فقههم، وسوف يأتي ذلك معنا بحول الله.

5- لما تبين أبو غانم القدرة العلمية التي عليها علماء المدونة؛ لم يعد يناقشهم في مخالفة أبي عبيدة إلا قليلًا، بل يعود في غالب الأحيان –بعد المناقشة– إلى التسليم بقول المخالف منهم ويعتمده.

6- يظهر لدى أبي غانم حرص شديد على التزام علماء المدونة بأقوال مشايخهم والتأثر بهم، وإن كان ثمة مخالفة فلابد أن تنبع من ذات المخالف وليس بسبب تأثره بالعلماء الآخرين من خارج المدرسة، يظهر ذلك في معاتبته الكثيرة لابن عبد العزيز عندما يتأثر في أقواله بإبراهيم النخعي، لكن هذا الإنكار يختفي عندما يقرر علماء المدونة مخالفة مشايخهم تمسكا بقول أحد الصحابة[2] .

7- يشير أبو غانم في بعض الأحيان إلى أن هذا الرأي أو ذاك، قاله علماء آخرون من داخل المدرسة، ولكنه لم يحددهم، حيث يظهر ذلك واضحًا في العبارة التي يستخدمها

---

[1] – لا يجيز الشيخان صلاة الجمعة خلف الجبابرة، ويقولان بكفر المجسمة لله تعالى، ويقفان في شأن المرأة المتبرجة، بينما يرى الإمام الربيع جواز الصلاة خلفهم ولا يصل بالمجسمة إلى حد التكفير.

[2] – مثال ذلك : "قلت لابن عبد العزيز : فرجل طلق امرأته واحدا أو اثنتين، ثم تركها حتى انقضت عدتها، وتزوجت زوجا غيره فطلقها أو مات عنها، فراجعها الأول، على كم تكون عنده؟ قال : حدثني أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد عن ابن عباس أنه كان يقول: «نكاحا جديدا وطلاقا جديدا»، وبهذا عامة أصحابنا يأخذون وعليه يعتمدون؛ وأنا أُخَالِفُهُم في ذلك ونقول أنها على ما بقي من طلاقها. قلت له حينئذ : فكيف رغبتَ عن قولِ أصحابِنا وخالفتَهم فيه وقد يَروُونَه عن ابن عباسٍ، وعمن تَأْثُرُ هذا القولَ الذي أخذتَ به هذه المسألة أنها على ما بقي من طلاقها؟ قال : لم آخذ ذلك عن رأيٍ، ولم أرغب فيه عن قولِ أصحابِنا، ولم أترك قولَ ابن عباس رغبةً إلى قولي ؛ ولكن آثرتُ ذلك عن غيرِ واحدٍ من أصحابِ النبي عليه السلام، منهم عمر بن الخطاب وأُبَيُّ بن كعب، وروى بعضُ أصحابِ النبي ﷺ أنه قضى فيها بما بَقِي من طلاقِها ، وكذلك ينبغي أن يكونَ في القياسِ الصحيحِ." المدونة : ج 1 ص 313.

دائمًا: "وهو قول أبي عبيدة، والعامة من فقهائنا"[1].

8- كثيرًا ما يَقرِن بين أبي المؤرج وابن عبد العزيز في الذكر، ويندر أن يذكر أحدهما بمفرده، ما يعطي دليلًا على أنه التقى هذَين الشيخَين في مكان واحد، وسألهما معا –كما هو الشأن مع وائل ومحبوب–، حيث تدل نصوص المدونة على أنهما كانا في مكان واحد .

9- يؤكد أبو غانم رواياته عن علماء المدونة بعدد من ألفاظ التحمل، فهو يسألهم مشافهة بنفسه، ويأتي بلفظة: "سألتُهم"، ثم يؤكد ذلك بأنه قد أخبره آخرون أنهم سألوهم الأسئلة نفسها، فيقول: "مما سألتهم عنه، وأخبرني مَن سألهم عنه".

10– يحرص أبو غانم على ذكر الحادثة التي دوَّن فيها المسألة عن علماء المدونة، بكامل تفاصيلها، حتى الإشارة والانفعال، وإيماءات الرأس وغيرها؛ دقَّةً منه في النقل، وأمانة في التدوين العلمي، ورسم الحقيقة.

11– لا يتردد أبو غانم في ذكر ألفاظ التوبيخ التي يتلقاها من علماء المدونة، حيث كان بعضها جارحًا، وذلك حرصًا منه أيضًا على نقل الصورة الكاملة لعلماء المدونة، من حيث تعاملهم وتفاعلهم، وتصرفاتهم، بجانب علمهم ومعرفتهم.

## الفقه المقارن

تجاوز أبو غانم حدود الهدف الذي أعلن عنه في المقدمة ليتوسع في ثناياها؛ بعرض أقوال الفقهاء المعاصرين لجابر بن زيد وأبي عبيدة، كالحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة السدوسي وسعيد بن المسيب وشهر بن حوشب وربيعة الرأي وعبد الرحمن بن غانم وعبد الجبار بن عمر وغيرهم، وقد ظهرت لديه القدرة على استيعاب أدلة الآخرين والنقاش بها، كما أن حياده العلمي؛ جعله لا يتوانى عن الإشارة إلى أقوال المدارس الأخرى،

[1] – ينظر مثلا المدونة : ج2 ص 240 ، 241 ، 244 ، 245 وغيرها، ومن المعلوم أن البصرة كانت المقر الرئيسي للمذهب الإباضي، وقد مثله فيها علماء كثيرون لا يمثل علماء المدونة منهم سوى نسبة قليلة، ولمعرفة حركة أولئك العلماء ونشاطهم العلمي يمكن الرجوع الى كتاب " نشأت الحركة الإباضية" للدكتور عوض حليفات .

وينسبها إلى أصحابها، ولذلك كثيرًا ما نجده في المدونة يقول: "وهذا قول أهل الكوفة"، "وهذا قول أهل المدينة"، بل يسرد حجج هؤلاء في الكثير من المواضع، حتى ولو لم تكن على سبيل الجدل: "وحجة أهل المدينة"، "وحجة أهل العراق"، هذا فيما يتعلق بأقوال المدارس المعاصرة لعلماء المدونة، وفي مقدمتها مدرسة أهل الرأي وأهل الحديث، أما أقوال التابعين كالحسن البصري وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي؛ فهي كثيرة جدا، والضابط في التعامل مع أقوال هؤلاء هو الحجة والدليل، ولا اعتبار للأشخاص أو المدارس.

يظهر في المدونة أن علماء الرعيل الأول في المدرسة الإباضية يدركون أن الخلاف بين الفقهاء طبيعي في ظل تناهي النصوص أو اختلاف دلالتها، وكثيرًا ما يتلقى أبو غانم عتابًا شديدًا من بعض شيوخه، عندما يحاول نظم الجماعة على قول واحد، أو يوهم بمصادرة حقهم في الاجتهاد، ومن أمثلة ذلك، قوله: "وقول إبراهيم هو أعدل عندي؛ قلت له –أبو غانم–: رأيتُك تأخذ بقول إبراهيم في كثير من المسائل، وتختار قوله على مَن هو أكبر منه وأفضل؟ قال: ومن هو: قلت: أبو عبيدة. قال: الإنصاف في الحق؛ قبول الحق ممَّن جاء به، والأمر الذي لا دخل فيه ولا خلل؛ ليس كغيره ممَّا يدخل فيه الوهن والضعف"[1].

وقد ظلت المدرسة الإباضية وفيّة لهذا المبدأ، فليس لجابر أو أبي عبيدة أقوال مطلقة لا يصح الخروج عنها، أو لا يسمح بمناقشتها، بل تواترت نصوصهم بضرورة التحقيق من مسائل الرأي، وعدم اعتبار قول الإمام دليلًا قائمًا بذاته، أو كفة راجحة عند تعادل الأدلة، قيل للإمام جابر بن زيد –رضي الله عنه–: يا أبا الشعثاء، إنهم يكتبون

---

[1] – المدونة ج2 ص 32 ، 33 ، ومن أمثلة ذلك أيضا في باب الديات : "... قلت: لقد وافقت هاهنا إبراهيم، هكذا يقول. قال: إذا قَاسَ فأحسَنَ القياسَ رأيتَ قولَه يخرج من جميع الفقهاء ويذهب عنهم كل مذهب. قلت: ولا أراك تحمده إلا فيما يوافقك فيه، ولا تذمه إلا فيما يخالفك فيه! قال: بل أنا الموافِق والمخالِف، لأنه كان قَبْلي، فاتبعتُ قولَه فيما يحق لي إتباعه مما رأيتُه أعدلَ عندي من غيره، وتركتُ قولَه فيما خالفتُه فيه مما ضعفت فيه المقالة منه " .

عنك؟ قال: إنا لله، يكتبون عني رأيي، وأرجع عنه غدًا"[1]، كما أتاحت هذه الروح المنفتحة لعلماء المذهب النقد والترجيح، ومنعت المعاتبة على تجاوز قول الإمام كما يحدث في بعض المدارس الأخرى.

## خاتمة

قدم أبو غانم جَهدًا كبيرًا في معالجة قضية الاختلاف في المدرسة الإباضية الأولى، وجمع الأقوال التي نتجت عن عقلية اجتهادية متقدمة، تستخدم أدوات الاستنباط بطريقة أصولية منضبطة، فدوّن بذلك أول سفر إباضي في الخلاف العالي.

ونخلص من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. يعد أبو غانم أحد علماء خرسان خدمةً للفقه الإسلامي من خلال إحدى أقدم مدارسه الفقهية، فهو بذلك يمثل هذا الإقليم الذي نبغ منه عدد كبير من العلماء في مختلف التخصصات.
2. يعبِّر جهد أبي غانم عن التطور الحضاري عند علماء خرسان، وإيمانهم بالتعددية الثقافية، ورغبتهم في جمع الناس تحت لواء الوحدة والتعايش.
3. اهتم الإباضية الأوائل بموضوعَي الفقه وأصوله، فكانوا جزءًا من الحِراك العلمي الذي وضع الأسس الأولى لتطوره، ومراحله اللاحقة.
4. وفَّر الاتجاه السياسي للإباضية الفرصة في معالجته القضايا المستجدة، والتي نتجت بفعل تطور الحياة، والمثاقفة مع المجتمعات الأخرى، فكانوا بذلك أقرب إلى أهل الرأي مكانًا وزمانًا.

---

[1] – الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1419هـ/1999م، تحقيق: خليل المنصور

5. استطاع أبو غانم أن يجمع شمل المدرسة افتراضيًّا، من خلال التنقل بين شخوصها، وعرض أقوال بعضها على بعض، وعرض آراء المدارس الأخرى، وتمثيل اتجاهاتها الاستدلالية.
6. أعاد أبو غانم حضور أبي عبيدة عند تلاميذه، وجادل في ضرورة الالتزام بآرائه الفقهية، والاجتماع عليها.
7. كشف جهده الثمين عن وجود نزعة تحررية عند تلاميذ أبي عبيدة، تتجاوز آراءه وآراء الإمام جابر، وتمضي في الاعتماد على العقلية الاجتهادية التي يتمتعون بها.

## References: المراجع:


Abū al-ʿAbbās al-Darjīnī, Aḥmad bin Saʿīd, *Ṭabaqāt al-Mashāyikh fī al-Maghrib*, Taḥqīq wa-Ṭabʿa: Ibrāhīm Ṭalāy, 1st ed., 1394 AH - 1974 CE.

Abū Ghānim Bashar bin Ghānim al-Khurāsānī, *Al-Mudawwanah al-Ṣughrā*, Wizārat al-Turāth al-Qawmī wa al-Thaqāfah, Sulṭanat ʿUmān, 1st ed., 1404 AH - 1984 CE.

Abū Yūsuf al-Fasawī, Yaʿqūb bin Sufyān, *Al-Maʿrifah wa al-Tārīkh*, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Bayrūt, 1419 AH - 1999 CE, Taḥqīq: Khalīl al-Manṣūr.

Aḥmad bin Ḥanbal, *Al-ʿIlal wa Maʿrifat al-Rijāl*, al-Maktabah al-Islāmiyyah, Dār al-Khānī, Bayrūt, al-Riyāḍ, 1st ed., 1408 AH - 1988 CE, Taḥqīq: Waṣī Allah bin Muḥammad ʿAbbās.

Al-Būsāʿīdī, Ṣāliḥ bin Aḥmad, *Riwayat al-Ḥadīth ʿInd al-Ibāḍiyyah*, Maktabat Masqaṭ, Sulṭanat ʿUmān, 1st ed., 1420 AH - 2000 CE.

Al-Nāmī, ʿAmrū, *Ajwibat Ibn Khalfūn*, Maktabat al-Istiqāmah, Masqaṭ, 1st ed.

Al-Nāmī, ʿUmar, *Dirāsāt ʿan al-Ibāḍīyah*, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1st ed., 2001 CE, Tarjumah: Mīkhāʾīl Khūrī wa D. Māhir Jarrār, Tadhqīq wa Murājaʿah: D. Muḥammad Ṣāliḥ Nāṣir wa D. Muṣṭafā Bājū.

Al-Rāshidī, Mubārak, Abū ʿUbaydah wa Fiqh, Maktabat Masqaṭ, Sulṭanat ʿUmān, 1st ed., 1412 AH – 1992 CE.

Al-Sābiʿī, Nāṣir bin Sulaymān, *Al-Khawārij wa al-Ḥaqīqah al-Ghā'ibah*, Maktabat al-Jīl al-Wāʿid, Masqaṭ, 1st ed., 1420 AH - 1999 CE.

Al-Shammākhī, *Kitāb al-Sīrah*, Taḥqīq Aḥmad bin Masʿūd al-Sīyābī, Wizārat al-Turāth al-Qawmī wa al-Thaqāfah, 1407 AH - 1987 CE.

Ibn al-Athīr, ʿIzz al-Dīn, *Al-Kāmil fī al-Tārīkh*, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt - Lubnān, 1st ed., 1417 AH - 1997 CE.

Ibn Ḥazm, ʿAlī bin Aḥmad al-Andalusī al-Qurṭubī, *Al-Faṣl fī al-Milal wa al-Ahwāʾ wa al-Niḥal*, Maktabat al-Khānjī, Cairo, 1431 AH.

Ibn Khaldūn, ʿAbd al-Raḥmān, *Al-ʿIbar wa Dīwān al-Mubtadaʾ wa al-Khabar fī Tārīkh al-ʿArab wa al-Barbār wa Man ʿĀṣarahum min Dhū al-Shān al-Akbar*, Dār al-Fikr,

Bayrūt, 1st ed., 1401 AH - 1981 CE.

Ṣāliḥ Bāʾ, ʿUmar bin al-Ḥāj Muḥammad, *Dirāsāt fī al-Fikr al-Ibāḍī*, Maktabat al-Istiqāmah, Sulṭanat ʿUmān, 1st ed., 1412 AH - 1992 CE)

# At-Tajdid

A Refereed Intellectual Biannual

Volume 29, Issue 57, Rajab 1446 / January 2025


## Research and Studies


- Selling Loyalty and Its Contemporary Applications in Islamic Banking: An Analytical Study — Khaliqyar Mohammad Zamir, Mohamad Sabri Zakaria
- The Role of Islam in the Reform of Christianity: A Study of the Islamic Influence on the Protestant Movement — Bahaeldin Makkawi Mohammed Gaily
- Imam Abū Saʿīd al-Kudāmī and his Role in the Emergence and Development of the Nizwa School of Thought — Ahmed Al-Kindi, Saeed Al-Sawafi, Mabrouk Mansouri, Majid Al-Kindi, Ali Al-Riyami
- An Evaluation of Harald Motzki's Criticisms about Norman Calder's Views on Malik's Muwatta: A Comparative Study — Ismail Cinar, Alladein Mohammad Ahmad Adawi
- Employing the Frayer Model in Teaching to Develop Grammatical Concepts for Students of the Arabic Language Teaching Institute for Non-Native Speakers at the Islamic University of Madinah in the Training Course — Adel Mansy Al-Enezy
- Islamic Education in Kenya Between Reforms and Fundamental Challenges — Mohamed Sheikh Alio Mohamed
- Free Verse Poetry between Arab and Malay: A Comparative Study — Adli Bin Yaacob, Nurul Hidayah Binti Rosly
- Abū Ghānim Bishr ibn Ghānim al-Khurāsānī (d. 205 AH) and His Methodology in *"al-Mudawwanah"*: An Analytical Study — Saif bin Salim Al Hadi
- The Qard al-Hasan Institution as a Strategy for Poverty Alleviation in Afghanistan: A Proposed Model in light of the Malaysian Experience — Jamaluddin Hamidi, Mohammed Abullais Shamsuddin
- *Taḥqīq al-Manāṭ* (Investigation of Al-Manat) in the Latest Developments in Medical Calamities: A Purposeful Jurisprudential Study — Khalid bin Abdullah bin Ali Al-Muzainy
- Al-Azhar's Approach to *Tajdīd*: A Case Study of *Fiqh* Textbooks — Attia Omara, Abdelaziz Berghout
- A Historical Exploration of Islamic Discourse in Sri Lanka: A Descriptive Analysis of Contemporary *Da'wah* Organizations — Ashker Aroos, Mohamed Ashath, Mohammed Insaf Mohammed Ghous



ISSN 1823-1926

9 771823 192005

International Islamic University Malaysia